

مقطّعات متعلّقة) من أعمال يحيى الرخاوى النقدية والإنشائية والإبداعية مقتطفة من "تداعيات الرخاوى" (1) التداعى  
الأول: "قصة فى قطار"



[yehiatrakhawy@hotmail.com](mailto:yehiatrakhawy@hotmail.com)

نشرة "الإنسان" 2018/10/15

المسبة الثانية عشرة - العدد: 4062

بروفيسور يحيى الرخاوى - الطب النفسى، مصر

التداعى الأول

"قصة فى قطار (2)"

شهادة فى قصة ليست قصيرة!!



على المقهى الذى فى ميدان سيدى جابر، على شريط الترام وأنت ذاهب نحو المحطة توجد قهوة كبيرة ماسكة ناصيتين، جلس على الرصيف فى الظل ووجهته ناحية الترام، لا ناحية المحطة، مع أنه فى المرّة السابقة كان يجلس ووجهه للمحطة، وراح ينظر إلى ناحية القطار كل قليل، وكأنه سيراه وهو قادم فيجرى ليلحق به، بدا وكأنه لم يصله خبر أن الأمور تغيرت، وأن قطارات هذه الأيام لا تحتاج إلى الحدس ومباريات الجرى، كلّ بالدقيقة، شئ فرنساوى، وشئ تورينينو، وشئ أسباني، مصلحة السكك الحديد المتحدّة، ثم إنه لمّا تجولّ المرة التى فانت اكتشف منطقة لم يكن قد تجولّ فيها من قبل، توجد هذه المنطقة على الناصية المقابلة، الناحية الثانية من شريط الترام، مطعم صغير أمامه شواية الفراخ بروائحها التى هى، يبدو أن هذه هى أيامها بعد حكاية جنون البقر، ثم فرن جميل نظيف تتصاعد منه رائحة الطزاجة الدافئة، هو يجب هذا الخبز هكذا دون غموس (الخبز الحاف)، فى جولة سريعة المرة السابقة، تعرف على المكان وكأنه مسافر إلى الخارج يكتشف حوارى بلد متوسط على الطريق، مثلاً: من تركيا إلى اليونان، هذه المرّة لفّ نفس اللفة وكأنه يتأكد أنه قد أصبح له حق مواطننة وطن جديد اسمه "سيدى جابر" لا يحتاج الأمر إلى دخوله أية إجراءات أو تأشيرات، شوارع ضيقة نسبياً، وعمارات متوسطة قديمة منتصبة فى ثقة وهى تتحاور فى همس، ومحلات بسيطة ونظيفة وصغيرة، وانحناءات غير متوقعة، ثم إنه عرف كيف يوحّد الاتجاه رغم الانحناءات التى تصل إلى الزاوية الحادة، يسار فى يسار فى يسار تجد نفسك ثانية على شريط الترام أمام بورصة كذا (لم يعد يهتم بالأسماء بعد أن تكرر نسيانها) والبورصة، كما خيل إليه فى لغة الإسكندرانية، تعنى القهوة، ناس يجلسون مع بعضهم البعض، ناس بحق، لا ينتظرون القطار، أى قطار، فقط يجلسون ويتصايحون ويلعبون ويتكلمون ويضحكون، والله زمان، هو ليس من رواد المقاهى أصلاً، وقته لا يسمح، ومع ذلك، والله زمان، كله من هذه السيارات، وخاصة هذه السيارة الأخيرة ذات المقعدين، فصلّته عن الناس، كيف يمكن أن يتربى الأولاد بلا اختناقات فى الأتوبيس، وبلا بحث عن الفكّة فى جيوبهم ثم حوار مع المحصل (يعنى: "الكمسارى"؟! ) وكان قد تعمّد، بعد أن كبر الأولاد واستقلّوا،

شراء هذه السيارة الشبابي، لا ادعاء للشباب وإنما تجنباً أن يركب أحداً معه، حتى من أولاده ما أمكن ذلك، ناهيك عن المارة الذين يشيرون بأيديهم أحياناً فيخجل هو من المقعد الخالي بجواره، ومع ذلك لا يقف لهم، وأيضا هو نجح أن يقاوم إلحاح أولاده وزوجته أن يوظف سائقاً خاصاً يلبق بدخله ويوفر وقته، نفوده القدرة على تعيين سائق خاص كادت تحرمه حتى من الاختلاء بنفسه في السيارة وهو يستمع إلى إذاعات لندن والإذاعات الأخرى التي تكرهها زوجته، فهي تعتقد أنها إذاعات متخصصة في نشرات الأخبار المليئة بالقتل والغم والحوادث، هذه السيارة، كل السيارات، أصبحت حاجزاً فوق الحواجز بينه وبين الناس، ومع ذلك فهو يحب هذه السيارة حبا جما رغم كل شيء، "اثنتين صُحبة، ثلاثة زحمة"، قول "خواجاتي" سخيف، أثناء جولته هذه المرّة وقف أمام الدكان الصغير على ناصية أحد الانحناءات الحادة، أمام الدكان ثلاجة بها "آيس كريم"، فتحها وتناول منها قمع البسكويت الذي يحبه رغم قشرة الشيكولاته التي لا يحبها، دولسيكا بالبسكويت، هو لا يحب البوظة أم عصا، أصبح قمع الدولسيكا بجنيته، هذا هو الشيء الذي استطاع أن يتابع أسعاره في السنوات الأخيرة، 35 قرشاً، ثم 50 قرشاً، ثم 65 قرشاً، ثم هُبط قفزة إلى الجنيه الصحيح، إنه لا يشتري - شخصياً - شيئاً بنفسه، وهو لا يحتاج إلى شيء، وبالتالي لا يعرف إلى أين وصلت الأسعار هذه الأيام، ثم إنه لمح كراريس على الرف الداخلي للمحل، هذه أيضا من الأشياء التي كان يشتريها من سنوات قبل حكاية الكمبيوتر، "أرخص كرّاسة لو سمحت"، متوسطة، ورق أي كلام لو سمحت، غلاف عادى لو سمحت، ما الحكاية؟ لو سمحت لو سمحت لو سمحت، المهم، اشترى الكرّاسة، لماذا اشترى الكرّاسة؟ هذا أمر في علم الغيب حتى هذه اللحظة، اشترى بجنيه أيضاً؟ نفس ثمن الآيس كريم، ثم إنه فرح فرحاً مناسباً بغير سبب ظاهر، الكرّاسة بجنيه والـ"جياتي" بجنيه، مثل زمان، دومة بمليم، وعسلياية بمليم، وقرطاس لب بمليم، وتبقى نكلة، والكرّاسة (زمان) 32 صفحة كنظام وزارة المعارف العمومية بنكلة، أو تعريفة حسب الورق، هو لا يحب تذكر الماضي بحنين خاص، ولكنه لا يستطيع أن يحول دون الشعور بهذا الحنين الخاص رغم اختلاطه بمشاعر متداخلة من المذلة والضعف والحيرة والوحدة، نعم والوحدة، منذ هذه السن المبكرة، انقطعت علاقته بالتسوق تقريباً فيما عدا هذه الـ"دولسيكا" وبعض الكشاكيل التي توقف عن شرائها بسبب صديقه الجديد، الحاسوب، ما أسخف الاسم، هو الكمبيوتر وخلص، فحتى أسعار الكرّاريس والكشاكيل توقف عن تتبعها، وهو قد اكتفى بإعطاء زوجته مبالغ أكثر من المطلوب حتى يوفر على نفسه الشكوى من الأسعار، ومع ذلك فهي لا تكف عن تذكرته، وهو يزوغ، وهي لا تكف، "قيم نتكلم إن إذا لم نتكلم في الأسعار"، يا ستي خلّ الهّم لأصحابه، نحن قادرون والحمد لله، فتتبرى زوجته تحاول أن تفهمه أنها تتكلم من أجل المهمومين، هكذا مرة واحدة؟ طيب كيف؟؛ إن كثرة الكلام عنهم تجعلنا ننساهم، أعنى قد جعلنا ننساهم. نعم؟ نعم؟ خلاص، لا أقصد، بل تقصد. أستغفر الله العظيم، آخر كشكول اشتراه كان بعدة جنيّهات، أعلى من روايات نجيب محفوظ زمان، كان كبيراً ومرسوماً عليه صورة أحد المغنيين أو الراقصين (لم يعد هناك فرق)، وحين طلب غلّافاً سادة لم يجد، فاكتفى بغلّاف عليه ميكى ماوس، مع أنه يحب أكثر توم وجيرى، وزوجته تواصل الحديث عن الأسعار، وهو لا يستطيع أن يجد ردوداً مناسبة كل مرة، وهذه المرّة الأخيرة اكتفى بأن يزوم وهو يهز رأسه، فتمادت ظانّة أنه فهم ويتابع، فيتّمتم، فتتمادى، فيزوم مرة أخرى بطريقة أخرى، فتتمادى وهي تحدّثه عن الناس المساكين جداً، وتبدي من أنواع الشفقة ما لا يجوز، وهي تؤكد أن الحديث عن الجوعى والمساكين هو مسؤولية كل متحدث، وذلك حتى لا ننساهم، يا حرام. كذا؟!!! وهكذا تلقى عن كاهلك كل شيء بمجرد أن تحكيه، هذا رأيه. يا سبحان الله، نحن نخفّض الأسعار بالكلام، نبنى مساكن للشباب بالكلام، ونروى لهم الأفدنة الصحراوية التي ضحكنا عليهم بها فتاجروا فيها ما دامت بدون ماء، بالكلام أيضاً، يبدو أن الكلام مهم جداً فعلاً!! ماشى، كلام الناس هو الرأى العام؟ الرأى ماذا ولا مؤاخذه؟. الرأى العام: يعنى الرأى العام، ماذا فى هذا؟. ألم تنفق على التوقف عن المعايير، وفارس مالبورو ينظر إليه من الإعلان الكبير الموجود على حائط العمارة المقابلة، والله هذا الفارس أرحم من تلك الراقصة على غلاف الكشكول إياه، على الأقل هو فارس يذكرنا بشهامة موقف الفرسان الذين لا يطعنون فى الخلف، ثم إن هذا الفارس بالذات يوصيك بالنكهة، حلوة النكهة هذه، وهو لم يعد يدخن، بل

إنه لم يكن مدخنا أصلاً، فلماذا اشترى الكراس؟ وما علاقة هذا بذلك؟ عجيبة، عموماً هو طالع في مقدر جديد، منذ قرر أن يستقل القطار ذهاباً وإياباً إلى الإسكندرية التي يحبها جداً، يحبها أكثر مما يحبها إدوارد الخراط وغالباً أكثر من يوسف شاهين، من أين له أن يعرف؟. من فرط حبه لها، لا يوجد أكثر من هذا، فراح يستعيد أشياء صغيرة رائعة كان قد هجرها بسبب الثراء والعربات والجرى وراء الجرى، وراء الجرى، وراء الجرى، وراء... (كفي... الله!!)، لكن هذه الكراس التي اشتراها بغير قصد تحل في وقت غير مناسب، وكأنها تريد أن تستفرد به بعيداً عن غريمها الكمبيوتر، ذلك الصديق الجديد العظيم القادر النذل، قال اسمه الحاسوب قال!! يستأهل هذا الاسم بدلاً من الكمبيوتر ما دام هو بكل هذه النذالة، لكنه مع نذالته صديق، حين تصادق نذلاً وأنت تعرف ذلك لا يحبطك تخليه أو تصدمك أنانيته، فتطول الصداقة، وقد حال هذا الكمبيوتر بينه وبين أصحابه القدامى مثل أقلام الحبر الجاف المتعددة الألوان الرفيعة السن جداً، وكافة أنواع الكراريس، ولكنه ظل محتفظاً بصداقة الأقلام الرصاص والأساتيك (جمع أستيكية لأني لم أعرف جمع ممحاة، هل هو ممحايات أم مَمَاح)، هذا الصديق النذل (الحاسوب) شفاه من عشق القلم والورق معاً، واختصت الأقلام الرصاص بشخبطة الكتب التي يقرؤها، الكمبيوتر صديق حقيقي له حضور، يلقي عليه تحية الصباح، وأحياناً يضغط على زرّه وهو ذاهب إلى دورة المياه ليسمع زنة الفتح الرقيقة، ثم يغلقه دون أن يعمل عليه بعد أن ينظر في شاشته الفضية بحنان، ومع ذلك فهو صديق نذل أيضاً، ولن أقول لكم لماذا! مقالبه يحتملها بكل صبر، مع أنها أحياناً تكون باردة وغادرة، يعاتبه، أو يعاقبه، أحياناً بأن يرفض أن يغطيه بغطاءه وهو خارج بعيداً عنه، كما أنه إذا غضب منه، أو عليه، لا يسمح عنه التراب ولا يربت عليه حين يبدأ العمل، نفس الشكوى كانت تشكو منها زوجته، فهو لم يملس على شعرها إلا مرات قليلة في استجابة غير عفوية لمطلب غامض أشبه بالشروط السرية في معاهدة استسلام، أشياء كثيرة صغيرة شديدة الأهمية في الأئس والمداعبة، لم يتعلم منذ الصغر كيف يتقنها، مع أنه على يقين من أنها ضرورية، وأنها أهم من الأشياء الكبيرة التي لا يتقنها أيضاً، يعتذر لابن حزم بكل خجل لعجزه عن الألفه والإيلاف، لماذا أسمى كتابه "طوق الحمامة؟". الرقة لا تباع ولا تشتري يا أخي، يشفق على زوجته بقسوة ويتساءل: لم قبلته ما دام هو هكذا؟ ظلمت نفسها هذه السيدة.

ثم قد تكمل أو لا تكمل الأسبوع القادم!!

- [1]المقتطف من "تداعيات الرخاوى" (الطبعة الأولى 2017)، والكتاب متاح في مكتبة الأنجلو المصرية وفي منفذ مستشفى الرخاوى للصحة النفسية (دار المقطم) شارع 10، وفي مركز الرخاوى: 24 شارع 18 من شارع 9 مدينة المقطم، كما يوجد أيضاً بموقع المؤلف، وهذا هو الرابط: [www.rakhawy.net](http://www.rakhawy.net)

- [2]كتبت في عام 2000، وظهرت كطبعة أولى في مجموعة قصص قصيرة باسم "ورطة قلم" الناشر "المحروسة" - القاهرة.

إرتباط كامل النص:

[www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD151018.pdf](http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD151018.pdf)

\*\*\* \*\*

## جائزة الغالي أحرشاو لشبكة العلوم النفسية العربية 2018

دعوة لتقديم الترشيحات

شروط الترشح للجائزة

[www.arabpsynet.com/Prizes/Prize2018/APNprize2018.pdf](http://www.arabpsynet.com/Prizes/Prize2018/APNprize2018.pdf)

ارتباطات ذات صلة

دليل جائزة شبكة العلوم النفسية على المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com/arabpsynet.php?p=2>

دليل جائزة شبكة العلوم النفسية على الفيس بوك

<https://www.facebook.com/Arabpsynet-Award-289735004761329/?ref=bookmarks>